الإرهابُ والتَّطرُّف بأوروبا في القرون الوسطى

■ أ.د. راغدة محمد المصري[1]

ملخّص

يشـهدُ العالمُ اليوم معاناة الشـعب الفلسـطيني، في ظلِّ صمتٍ رهيبٍ، وغياب للمنظمات الدولية والحقوقية، وغربة للقيم الإنسانية، لما تتعرض له غزة من مجازر وحشية وإبادة جماعيّة، وتنفيـذ الصهاينة جرائم حربٍ بكلّ مـا للكلمة من معنى، مع صمت بل ودعم غربي. وإذا أردنا أن نعرفَ الخلفية الإجراميّة لهذا السـلوك، كيف تشـكّل، لا بدّ أن نتعرفَ على البيئة السّياسـيّة التاريخية لأوروبّا، فهذا سيُساعدنا على فهم الدور الغربي الداعم للإرهاب والتطرُّف الصَّهيوني.

سـنحاول في هذه الدراسة، تسليط الضوء على التطرُّف والارهاب في أوروبا خلال العصور الوسـطى، باعتماد المنهج التاريخي الموضوعي، من خلال عرض وتحليل مشـاهد لأحداث تاريخية حصلت في أوروبا خلال الحقبة الوسـطى، ورسـم صورة لجذور الإرهاب والتطرُّف، ورفـض الآخر في تلك الحقبة، وهنا تطرح الإشـكالية الآتية كيف رسـمت الحـروب الدِّينية، ملامح تاريخ أوروبّا الوسطى، وتركت بصمتها الإرهابية الدموية في تاريخ البشرية إلى اليوم؟

وبعد ذلك سـنطرح السـؤال التالي، هل كانت تلـك المحطات التاريخيـة الدموية، خلفية حقيقية لمشروعات الاسـتنارة والوطنية والسّـلم العالمي؟ أم كانت حلقة من حلقات الإرهاب والتطرُّف العالمي الذي نشهده اليوم؟

الكلمات المفتاحية:

التطرُّف- الإرهاب- الجرمان- الفرنجة- البابوية- محاكم التَّفتيش.

1 - كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية.

مقدِّمة

إنَّ مـا يجري اليوم في العالم، مـن مجازر وإجرام وحشيّ بحقِّ شـعبٍ احتلَّت أرضه، واغْتُصبت مقدساته، في غزة - فلسطين - حيث، بُيوت تُهدم، وأطفال ونساء وشيوخ يتعرضون لمجازر وإرهاب شـبيه بتلك التي حصلت في أوروبا الوسطى، فما الرابط وما أوجه التشابه بينهما؟ لقد عاشت أوروبا في العصور الوسـطى تاريخًا أسودًا من الانقسـامات، عرفت فيها أنواعًا من الحروب الدِّينية، وكلها باسم الإنجيل، من هذه الحروب: حروب المذاهب الدِّينية المرعبة بين الكاثوليك والأرثوذكس، وبين الكاثوليك والبروتستانت، التي استغرقت زمنًا طويلاً، بالإضافة إلى الحروب الصّليبية التي استهدفت المشرق العربي، وقد اتّسع هذا الإرهاب ليشمل كُلَّ من خالف عقيدتهم وفكرهم.

ستُظهر هذه الدراسة، ملامحَ من تاريخ الوحشية والتطرُّف الذي ساد فتراتٍ طويلةٍ من تاريخ أوروبا خلال العصور الوسـطى، وذلك من خلال اسـتعراض أثر الغزوات البربرية عـلى بنية المجتمعات الأوروبية، ومعالجة الأحداث التي جرت في الدولة الميروفنجية و حروب الفرنجة، والعلاقة الشائكة بين البابوية والدولة الكارولنجية، من أجل رسـم صورة لجذور الإرهاب والتطرُّف، ورفض الآخر في تلك الحقبة، وهنا تطرح الإشـكالية الآتية، كيف رسـمت الحروب الدِّينيـة، ملامحَ تاريخ أوروبا في القرون الوسطى، وتركت بصمتها الإرهابية الدموية في تاريخ البشرية إلى اليوم؟

المبحث الأول: الكنيسة والتحوُّلات الاجتماعية والسّياسيّة بأوروبّا في العصور الوسطى

أطلـق المؤرّخون مصطلح العصور الوسـطى على المرحلة التي تفصل بـين انهيار الإمبراطوريّة الرُّومانيّة وبين ما عُرف باسـم عصر النهضة، وتعدّدت الآراء وتعارضت إلى حدِّ التباين حول تحديد السّنة أو الحادثة التي تدلُّ على بداية عصور وسطى، كانت فيها أوروبا قابعة في ظلمة جهل، وعاشت فيها سلسـلة من الحروب الطّويلـة و الّصراعات الدموية، التي فتكت، ليـس بالمجتمعات الأوربية

فقط، بل بجماعات وشعوب أخرى. في تلك الفترة لم يكن هناك أي فصل بين الدولة والكنيسة التي مارست نفوذها الدِّيني وسلطتها، على مكونات المجتمع المتعدد الأعراق والديانات، وكان شعارها هو حماية الدِّين المسيحي ونشره ومحاربة الهرطقة.

أولًا: غزوات القبائل الجرمان البربريّة

إنَّ المدخـلَ الطبيعيَّ لدراسـة التاريخ الأوروبي في العصور الوسـطى، يبدأ باسـتعراض أحوال الشّـعوب المختلفة التي أثَّرت في تاريخ أوروبا القديم والوسـيط، منهـا الإمبراطوريّة الرُّومانيّة التي شكَّلت رمزًا للحضارة الأوروبية القديمة[1].

ولا ننـسى قبائلَ الجرمان البربرية المُتعددة، الذين كان لهم الدّورُ الأكبرُ في تاريخ أوروبا الوسـيط، حتَّى بدايات العصر الحديث[2]، بالرَّغم من الفوارق في التَّباين الحضاري الكبير الذي لا يمكن مقارنته بـين حضارة ونظم روما والقبائل البربريّة. فكلَّـما ازداد تأثير القبائل في المجتمع الأوروبي زاد التَّراجع الحضاريّ للشُّعوب. واستمرَّ هذا الأمر حتَّى القرن الثالث عشر، حيث لم يبقَ فى أوروبا حضارة سوى بقايا إرث الرُّومان الحضاري، فجاءَ التَّاريخُ الأوروبيّ في العصور الوسـطى مزيجاً من حضارة الرُّومان وثقافة العناصر البربريَّة التي اجتازت حدودَ الدَّولة الرُّومانيّة، واستقرَّت داخلَ أراضيها واختلطت بأهلها.

لقـد انقسـمت الإمبراطوريّة الرُّومانيّة بعد انهيارها إلى قسـمين: الغربي والشرقـي، وعُرفت فيما بعد بالإمبراطوريّة البيزنطيّة، جاء ذلك بعد الاعتراف بالمسـيحية من خلال مرسـوم ميـلان عام 313م. وكان السّببُ الرئيس والمباشر لسقوط الإمبراطوريّة الرُّومانيّة - كما ذكرنا - غزوات البربر (الجرمان)، حيث بدأت هذه الغزوات تضربُ الإمبراطوريّة من الشّـمال، ومن الحدود الشَّرقية، وصولاً إلى إيطاليا، وقد صاحبَ ذلك، انحلال سـياسيّ وانهيار اقتصاديّ واجتماعيّ، كما انتـشر الطَّاعون الذي فتك بالنَّاس، إضافة إلى أسبابٍ أخرى أجمع عليها بعضُ المؤرخين، ساهمت في سقوط الإمبراطوريّة الرُّومانيّة، منها[3]:

- التفكّك الإداري.
- الخلل المالي.

1 - برستيد، 1945، ص488

2 - ديفز، 1958، ص27

3 - يوسف، 1984، ص54

- تمركز القوّة الحقيقيّة للدّولة في أيدي العناصر الجرمانية المرتزقة.
- الأخطار الخارجية المتمثلة بالخطر الفارسي والبرابرة الجرمان.
- انحطاط الزّراعة والتجارة والصّناعة.
- انغماس الرُّومان في حياة التَّرف و الملذَّات.
- الاختلافات الحضاريّة واللغويّة والمذهبيّة بين شطري الإمبراطوريّة.
- اقتباس روما والغرب من الدّيانات الشَّرقيّة.
- ظهور المسيحيَّة واعتناقُ الرُّومان لها.

ثانيًا: الدولة الميروفنجية (481 – 751) (Merovingsم) و حروب الفرنجة – (The Franks Wars)

تعدُّ الفرنجة، من أهــمِّ قبائل الجرمان الفاعلة التي تركت بصمةً قويــةً في الحروب المُتعددة التي شــهدتها أوروبا في العصور الوســطى، وموطن الجرمان الأصلي اسكندنافيا، وسواحل بحر البلطيق وشــمال (أوروبا)، اشــتهروا بعد انتشــارهم وســط وغرب أوروبا[1]. وقد انقســموا-بعد هجرتهم من موطنهم الأصلي في القرن الثاني الميلادي، إلى وسط وغرب أوروبا- إلى قسمين: الفرنجة الشّرقيين (الريبواريون)، والفرنجة الغربيين (السّــالين)[2]. ثــمّ تحالفَ الفرنجةُ في موطنهم الجديد على حدود الإمبراطوريّــة الرُّومانيّة، مع هذه الإمبراطوريّة التي منحت زعماءهم بعض الامتيازات لحماية حدود الإمبراطوريّة من غارات السكسون[3].

وقد تأثــرَ الفرنجةُ بالنظــم الرُّومانيّة الأكثر تحضُّرًا، بالرغــم من احتفاظهم بعاداتهــم القبلية التي وضعتهــم موضع ازدراء الرُّومــان، كونهم برابرة، حيث اندمجوا تدريجيًّــا بالمجتمع الرُّوماني، وكان لهم تأثيرٌ في الكيان الاجتماعي للإمبراطورية، الذي بدأ يزدادُ على حساب الضعف في الإمبراطوريّة، فانحسرَ الرُّومان في إيطاليا، التي لم تســلم من هجمات القبائل (البربرية)، ممَّا مهَّد لسقوط روما في عام 476م، وهذا ما سمح بازدياد نفوذ الفرنجة.

وقد تعزَّزَ دورُ الفرنجة، بعد تولّي كلوفس (481م–511م) Clovis واعتناقه المســيحية الكاثوليكية

1 - ديفز، 1984، ص27

2 - العريني، 1968، ص122 – 123

3 - Grant , A,J. 1927, p227

وتحالفه مع البابوية للدفاع عنها، وقد ساعدت الظروف السّياسيّة آنذاك كلوفس على توسيع رقعة دولته وتقويتها، فوحَّدَ غالة، ثمَّ مدَّ نفوذه إلى وسط أوروبا وراء نهر الراين[1].

رافق توسُّعه السياسي والعسكري نشر المسيحية بين القبائل الجرمانية الوثنيَّة، وتحالفَ مع الأساقفة وعملَ على حماية المُبشرين في غالة وجرمانية، فجاءت جهوده (أداة الله) لخدمة المسيحية، حيث نالَ تأييدَ البابوية، القوة الجديدة التي خلفت الإمبراطوريّة بعد سقوطها، وبذلك حصل على اعتراف الإمبراطوريّة البيزنطيّة صاحبة الشرعية السّياسيّة به.

بعد موت كلوفس (511م)، أصابت الدولة الميروفنجية الانقسامات، ومع مجيء ملوك ضعفاء، برزت قوةٌ سياسيةٌ جديدةٌ (رئيس البلاط)، حكمت الممالك التي انقسمت إليها الدولة الميروفنجية[2]، من أشهرهم بيبن الثاني هرستال (ت714م) Pepin of Herstal رئيس بلاط مملكة استراسيا، الذي وحَّدَ المملكةَ، وجعلَ المنصبَ وراثيًا في عائلته، وكان ملكًا غير مُتوَّجٍ، وإليه تنتمي الأسرة الحاكمة بعد الميروفنجين، وهم الكارولنجيين (م 891- 751 Carolingian Dynasty). حكم بعد بيبن ابنه شارل مارتل (714 - 741م)، ثم بيبن الثالث (القصير) (741 - 768م)، الذي لُقِّبَ بالملك (751م) بتأييد البابا بونيفاس (Pope Boniface).

ولم يمضِ على قيام دولة الفرنجة ثمانون عاماً، حتى توقفت عن التوسُّع، ودخلت في الفوضى والحروب الأهلية قرابة القرن والنصف، وظهر في هذا الدور ضعف ملوك البيت الميروفنجي من سلالة كلوفيس، وانقسمت فيه دولة الفرنجة إلى ثلاث ممالك: أوستراسيا- نستريا- برجنديا، ومن مظاهر ضعف ملوك الفرنجة في هذه الأقسام الثلاثة، زيادة نفوذ رجال الدِّين والكنيسة. واختيار نبلاء أوستراسيا زعيمهم ليتولى وظيفة رئيس البلاط في القصر الملكي، وكانت الوظيفة في أوّل أمرها متواضعة، يقوم صاحبها بالإشراف على خدم القصر ومُوظَّفيه، ولكنها بدأت تسمو حتّى أصبح صاحبها بمثابة الوزير الأول، وهكذا لم يعد تاريخ الميروفنجيين مرتبطاً بالملوك وإنما برؤوساء البلاط، وكان أبرزهم شارل مارتل Charles Martel المعروف بـ « بشارل المطرقة»[3].

تسلَّم شارل مارتل رئاسة البلاط سنة 714 ميلادية، وقد بلغت شهرته الآفاق، بعد سلسلة من معاركه الحربية، وخصوصاً بعد موقعة بواتييه أو موقعة بلاط الشّهداء، وسُمِّيت بذلك، لكثرة شهداء المسلمين

1 - روثفن،2007، ص67
2 - العريني، 1968، ص231
3 - مرسي،2006، ص17

فيها بالقرب من البلاط وهو القصر. ولم يرد في الرّوايات الإسلامية حصرٌ دقيقٌ لشهداء المسلمين في موقعة بلاط الشـهداء، إلّا أنَّ النَّصارى قالوا بانّه قُتل من المسلمين في موقعة بلاط الشهداء ثلاثمائة وخمسة وسبعون ألف مسلم، وهذا مبالغ فيه جدًا، لأنَّ جيشَ المسلمين كان خمسين ألفًا[1].

عندما جاء شـارل مارتـل إلى الحكم، وجد دولة الفرنجة في حالة يُرثى لها، بسـبب الخلاف بين رؤوسـاء البلاط من جهة والأخطار الخارجية من جهة أخرى، فقام بسلسلةٍ من الحروب لتأمين دولة الفرنجة ضد السكسون والألمانيين والبافريين والمسلمين، وجاء انتصاره على المسلمين ليجعلَ منه بطل المسيحية في الغرب.

لقد كانـت الفترة التي عاصرها تحديداً، غنيّة بالحروب الدِّينية التي اسـتمرت لعشرات السّـنين، والجدير بالذكر أنَّ الكنيسةَ كانت المسيطرة بشكلٍ أساسي على مُجريات الأمور في أوروبا في العصور الوسطى، ولم يكن نفوذها دينياً فقط، بل كان لها رؤى وقرارات سياسيّة واقتصاديّة وعسكريّة أيضاً.

ثالثاً: إيطاليا بين ثلاث قوى في القرن السابع الميلادي

كان اللومبارديون آخر الشّعوب الجرمانيّة التي اجتاحت الإمبراطوريّة الرُّومانيّة في 2 أبريل عام 568 م، بقيادة ألبوين Alboin، حيث قدَّموا رجالاً ونسـاءً وأطفالاً، ومعهم عبيدهم وماشيتهم وعرباتهم. وكان جيشُ ألبوين يضمُّ عدة عناصر من شـعوبٍ بربريَّةٍ مختلفة الطباع والنزعات وميَّالة بفطرتها إلى إحداث الفتن والفوضى، ولا يتـورَّعُ زعماؤها عن إطلاق العنان لارتكاب الأعمال الهمجيّة والنَّهب والسَّـلب، إذ كانوا عشرين ألفاً، تصحبهـم زوجاتهم وأطفالهم، وانطلقـوا في صورة هجرة عامة من بقايا بلغاريين، وبافاريين، وقبائل أخرى، غالبيتهم قبائل مسيحية على المذهب الآريوسي المُناهض للمذهـب الكاثوليكي، والبقية منها احتفظـت بوثنيتها. وقد قُدِّرَ المحاربـون بين مئة ومئة وعشرين مُحاربًا، عملوا في البداية كجندٍ مرتزقةٍ في جيوش الإمبراطوريّة البيزنطيّة، ومن ثم توحَّدوا تحت زعامة ملكٍ واحدٍ يُدعى ألبوين واستولوا على مدن ميلان وفيرونا وبافيا التي جعلوها عاصمتهم، وكان الفرقُ بينهم وبين الشّعوب الجرمانية الأخرى أنهم كانوا أكثر تعصباً لعنصرهم الجرماني، وقد انتزعوا جميعَ الأراضي الزّراعية من أصحابها وأنزلوهم إلى مرتبة التبعية[2].

1 - السرجاني، الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج3، ص8

2 - سعيد،2013، ج1، ص152

حـاول أباطرة الدولة البيزنطيّة مواجهة اللومبارديين، وطلبوا مسـاعدة الفرنجة، لكنهم فشـلوا في ذلك، فاضطُّروا إلى توقيع معاهدة مسـالمة من اللومبارديين مقابل جزيةٍ سـنويّةٍ، وبعد ذلك، توسع اللومبارديين وأتمّوا غزو شمال إيطاليا واستولوا على الأراضي التي كان يسير عليها الإغريق، وأصبحتِ الإمبراطوريّة في القرن السابع مقسَّمة بين اللمبارديّين والبيزنطيّين والبابويّة.

لقد تعرَّضت البابوية في عهد البابا غريغوري "Gregory» لخطر اللومبارديين، الذين استولوا على الأملاك البابوية في شـمال إيطاليا وأجزاء من وسـطها، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّه كان لبابا غريغوري "Gregory» دورًا كبيراً في تاريخ البابوية الكاثوليكية في روما، فقد اتخذت البابوية فى عهده صيغتها العالمية القوية، التى ميزتها طوال العصور الوسطى. كما قام بتنظيم وسائل الدفاع ضد اللومبارديون. وكان سبق أن فاوضهم بنفسه، وعقد معهم معاهدة صلح عام 592م، وتحالفت البابوية مع الفرنجة ضد اللومبارديين، وغزت جيوش الفرنجة شـمال إيطاليا، عام 754 ولم يستطع القائد اللمباردي أستولف "Aistulf" المقاومة، حيث حلت به هزيمة كبرى، فاضطر لتوقيع معاهدة، تعهّد فيها بإعادة الأراضي المسـلوبة للبابوية، لكنه راح يمُاطل، فقام الإمبراطور البيزنطي بمحاصرته وفرض شروط أشدّ قسوة عليه. ومن بعدها توفي اسـتولف ولم تعد للومبارديين أيّ قوّة تذكر، وغدت البابوية أكبر قوة، حيث اكتسبت سلطاناً زمنياً وروحياً حتى القرن التاسع عشر.

رابعاً: البابوية والدولة الكارولنجية

من أشهر ملوك الأسرة الكارولينجية في العصور الوسطى، شارلمان (م 814 - 768 Charlemagne)، وقد سيطرت إمبراطورتيه على أجزاء واسعة من أوروبا، حظي بدعم البابوية وتوّج من قبل البابا ليو الثالث (795 – 816 م) Leo III إمبراطوراً في سـنة 800م[1] لتظهرَ إلى الوجود الإمبراطوريّة الرُّومانيّة المُقدَّسـة.

لقـد تعاظـمَ دورُ البابويّة والفرنجة في أوروبا بعـد عملية التّتويج، لتُظهـرَ تعزيزَ مكانة روما على حساب بيزنطة، بعد إبعادها من مناطق نفوذها في إيطاليا، فكان الفرنجةُ يرون أنهم يمُثلون المسـيحيين والرُّومان معًا. كما قام شـارلمان بعدَّة معارك عسكرية ضد المسلمين في الأندلس واللومباردين والسكسون والبافاريين، ونشر المسيحية بين الأقوام الجرمانية الوثنيَّة، وقد اعتمد البابا أوربان الثاني على مكانة شـارلمان في دفـع الفرنجة أواخر القرن الحادي عشر، وقام بنشر

1 - دلماس، 1970، ص15

ثقافة الوازع الدِّيني لخدمة المسيح والكنيسة، فحثّهم على قتال الوثنيين – المسلمين- ومما قاله: « يا شعب الفرنجة... يا من اختاركم الرب وأحبكم، كما يتجلَّى واضحاً من خلال أعمالكم الكثيرة...ولتكن قصص أسلافكم العظام حافزاً يُحرِّككم ويُثير أرواحكم، صوب القوة من أمثال شارلمان وابنه لويس وغيرهما من ملوكهم الذين دمَّروا ممالك الوثنيين، ومدُّوا حدودَ الكنيسة المقدسة داخلها[1].

لم يخاطب البابا أوربان الثاني الحاضرين أمامه كونهم فرنجة فرنسا فقط، وإنما فرنجة وسط وغرب أوروبا، أي المناطق التي كانت خاضعة للإمبراطورية الكارولينجية، ويؤكد لنا ما ورد في كتاب (أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس)، أنَّ الفرنجةَ كانوا هم الغالبية العُظمى والقوة الرّئيسة من المُتوجّهين نحو القدس، تلبية لأمر البابا أوربان الثاني[2]. وهكذا يتبين أنَّ اغلبَ الذين لبُّوا دعوة البابا أوربان الثاني Urban II كانوا من سكان مناطق أفرنجية، والتي تشمل فرنسا الحالية حتى وسط أوروبا مع امتداد الإمبراطوريتين السابقتين الميروفنجية والكارولينجية، من هذا المنطلق جاء مصطلح الفرنجة في الدّراسات الحديثة للمُؤرخين المُعاصرين عند كلامهم عن مكونات الجيش المُتوجه إلى فلسطين، وعلى الرغم من ظهور بوادر التمايز بين المجموعات العرقيّة المكونة للجيش، لكنها لم تؤثّر في وحدته[3].

المبحث الثاني: حروب الفرنجة The Frank Wars

كانت الكنيسةُ تُمثِّلُ الحاكم الحقيقي لمُعظم دول أوروبا خلال القرون الوسطى. وهنا تأتي الإشكالية حوب من هو المسؤول عن الجرائم والحروب دينية التي شهدتها أوروبا، هل هم البربر؟ أم الفرنجة؟ أم العلماء والمفكِّرون؟ أم الكنيسة؟

أوّلا: المجازر الجماعيّة

جاءت الحروب الدِّينية والمجازر، تحت شعار محاربة الوثنيَّة والهرطقة، بأشكال وأساليب مُتعددة

1 - عبدة، 2001، ص78
2 - المصدر نفسه
3 - العريني، 1968، ص408

مُختلفة من: محارق جماعيّة، إلى ذبحٍ في الشّوارع باسم المسيح، نذكر منها كشواهد على سبيل المثال:

■ في عام 1209م أمر البابا أنونسنت الثالث بإطلاق حملة ضد البيجان، وقد تمَّ ذبحُ 7000 شخص في كنيسة مادلين وحدها[1].

بعد عامين حصلت جريمة كبرى في ستراسبرغ، تمَّ فيها حرق العديد من « الكُفَّار» وفق معتقدهم أحياء[2].

■ بلغت الحرب بين الكاثوليك والبروتستانت في فرنسا أشدّها وقد استمرت 40 عامًا، وثمانية حروب، وكانت ذروتها مذبحة سان بارتيليمي عام 1572، التي ذُبحَت خلالها أعدادٌ تُقدَّرُ ما بين 5 آلاف إلى 30 ألف بروتستانتي فرنسي على يد السُّلطات الكاثوليكية والمُتعصِّبين من الكاثوليك، وكان الهدفُ منها القضاء على البروتستانت تماماً[3].

كان ذلك بأوامر من الملك شارل التاسع ووالدته كاترين دي ميديشي، وترحيب من بابا الكنيسة الكاثوليكية البابا غريغوري الـ13، خوفاً من سطوة وانتشار البروتستانتية، وقد تلقَّى غريغوري الـ13 نبأ قتل البروتستانت بفرحٍ غامر، بصفته علامة على عناية الله ورحمته، وهنَّأ ملكَ فرنسا على هذا العمل الجليل الذي استأصل طاعون الزندقة من المملكة الفرنسية الطاهرة[4].

أخذَ الإرهابُ بالتمدد والانتشار أكثر فأكثر في العصور الوسطى، وازداد وحشية وإجرامًا، من خلال محاكم التَّفتيش في أوروبا، ثم حروبها الصّليبية الدِّينية ضد الشرق المسلم، للاستيلاء على بيت المقدس، وتزامن ذلك في وقت كانت الأجواء السّياسيّة مكفّهرة، مشحونة بالحروب الصّليبية ضد المسلمين، وبالكراهية المقيتة لليهود وملاحقتهم، ولا ننسى ما جرى في نهايات القرن الخامس عشر، وخصوصًا بعدما استعادت الإمبراطوريّة الكاثوليكية ممتلكاتها في إسبانيا من أيدي المسلمين، وعاملتهم بقسوة مُتناهية، وعانى المسلمون واليهود والعلماء والمُفكِّرون من أقسى أنواع الأحكام التي أصدرتها محاكم التَّفتيش الدِّينية، هذا بالإضافة إلى الإجرام الوحشي بحقّ كل من عارضهم.

---

1 - عبد الواحد، 2002، ص20

2 - موسى، 2015

3 - سوهيلة، 2013

4 - Benedict, 1978, pp. 205- 225

ثانياً: محاكم التَّفتيش 1217-1834م

تُعدُّ محاكمُ التَّفتيش وصمةَ عارٍ في تاريخ البشريّة، وفي تاريخ الكنيسة الكاثوليكيّة بصفةٍ خاصَّة. لقد أُنشئت محاكم التَّفتيش للتحقيق في الحالات المزعومة للجرائم، وقد استُخدمت محاكم الكنسية بداية من أجل مجموعةٍ واسعةٍ من الجرائم مثل: الزواج السري والزواج المُتعدد، وكانت تُعقد تحت رعايتها، كما عملت على محاربة السحرة والمشعوذين والدجَّالين الذين يُؤمنون بالغيبيات، فكانت تُصدر عليهم أحكامَ الموت عن طريق الشنق أو الغرق. ومع

تنامي سلطات الكنيسة، أصبحت محاكم التَّفتيش تابعة لها، وتعددت فيما بعد الاتهامات لكل من يعارض الفكر الكنسي، أو يدعو إلى التحرر أو الثورة والتمرُّد على ذلك النظام المُجرَّد من الإنسانية، خاصَّة مع ازدياد وعيّ العامة، ونشر نسخ من الأناجيل باللغات المحلية، ممَّا كشف للمسيحيين أنَّ ما تقوم به الكنيسة، بعيدٌ كل البُعد عن تعاليم الإنجيل الرحيمة، وكان يحقُّ لمحاكم التَّفتيش أن تُطلقَ لقبَ مهرطق أو مُبتدع على أيّ شخص تشكُّ فيه، مجرد الشك في إيمانه أو انحراف عقيدته عن تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، ثم تفنَّنَ رجالُ الكنيسة في ابتكار وسائل للقتل والتعذيب تُعدُّ الأبشع والأفظع على مرِّ العصور مثل: الحرق ميتاً إلى النشر بالمنشار، إلى الجلوس على الخازوق.ـ أو كرسي المسامير أو الشوي داخل الثور المعدني، حيث تحمى عليه النّار، إلى السلخ حيًّا، ثم ترك جثة المهرطق في العراء لتأكلها الضواري والطيور الجارحة[1].

وقد عرَّفَ المُؤرِّخُ الفرنسي جان بابتيست غيرو (1866-1953) محاكم التَّفتيش في العصور الوسطى بأنها: «نظام الوسائل القمعية، وبعضها مؤقت والبعض الآخر من النوع الروحي، الذي تصدره في الوقت نفسه السلطات الكنسية والمدنية، من أجل حماية العقيدة الدِّينية والنظام الاجتماعي، الذين تهددهما المذاهب اللاهوتية والاجتماعية للهرطقة»، وعرَّف أسقفُ لينكولن، روبرت جروسيتيست، الهرطقة بأنَّها: «رأي تمّ اختياره من خلال التصور البشري، إذ تمَّ إنشاؤه بوساطة العقل البشري، والذي تمَّ تأسيسه على الأسفار المُقدسة، على عكس تعاليم الكنيسة، وأعلن عنه بشكل صريح ودُوفع عنه بعناد»[2].

وفي عام 1022م قام «روبرت الورع» ملك فرنسا، بحرق مجموعة من الزنادقة تقرُّبًا إلى الله، دون

1 - الحايك، 2022

2 - المصدر نفسه

أن يأسف أو يندم. وفي ميلانو عام 1028م، وفي ساسون عام 1114م، وفي كولونيا عام 1143م، قامت الغوغاء الغاضبة بالهجوم على السجون الكنسية. فأخرجوا منها الزَّنادقة وقاموا بحرقهم على الأوتاد في عام 1184م، كما أصدر البابا لوسيوس الثالث مرسومًا، استُخدمت مبادؤه فيما بعد كأساسٍ لمحاكمة الزّنادقة والكفار. من هذه المبادئ: كلُّ من يساعد أو يحمي أو يدافع عن زنديق، يلقى العقوبةَ نفسها التي يلقاها الزّنديق، بما في ذلك، فقده لحياته ومصادرة ممتلكاته.

وما فعلتهُ محاكمُ التَّفتيش الإسبانية مع من بقي من المسلمين، على أرض الأندلس ليس من ذلك ببعيـد. فعندما توقفـت محاكمُ التَّفتيش عـن مجازرها عام 1834م، كان ضحاياهـا قتلُ مئات ألوف الأبريـاء، غير الأعداد الكبيرة التي سُـجنت غدرًا وغبنًا، وعذِّبت بآلات وحشـية. وهناك مجتمعات بأكملها تمَّ تهجيرها وتشريدها، ومدن تمَّ إبادتها، والكنيسة الكاثوليكيَّة هي المسؤولة عمَّا حدث.

لقد شملت محاكم التَّفتيش، بلداناً عديدةً في أوروبا وأمريكا. ووصلت إلى المكسيك وبيرو وجزر الكناري. وقد كانت التّهمة الوحيدة "الهرطقة"، والهرطقة كلمة إغريقية، تعني رأي مخالف لما تقبله الكنيسة. وقد استخدمت لتحقيق مصالح شخصية أو سياسية[1].

لقد اسـتمرت محاكمُ التَّفتيش فترة 600 سنة، والهرطقة ليست تهمة توجه فقط إلى كل من يزدري الأديان، أو يسبُّ الآلهة أو الكنيسة أو كل ما ترمز إليه، إنما هي أيضًا تهمة عامة وجريمة لا تُغتفر.

يروي الكولونيل ليموتسـكي في مذكراته، وهو أحدُ ضباط الحملة الفرنسية في إسبانيا التي أرسلها نابليـون بعد أن ألغى دواوين محاكم التَّفتيش أنَّهُ: "خـلال عمليات تعقُّب بعض أفراد دواوين التَّفتيش الذين كانوا يستهدفون الجنود والقادة الفرنسيين بالقتل، طاردنا بعضهم إلى داخل أحد الأديرة، وكادت جهودنا تذهب سـدى ونحن نحاولُ العثورَ على قاعات التعذيـب. فحصنا الديرَ وممراته وأقبيته كلها، فلم نجد شيئًا يدلُّ على وجود ديوانٍ للتفتيش، وقبل خروجنا استوقفني أحدُ الجنود طالباً فحص أرضية قاعة مكتب رئيس الدير، عند ذلك نظر الرهبان إلينا نظرات قلقة، فأذنت للضابط بالبحث، فأمر الجنودَ أن يرفعوا السـجاجيد الفاخرة عن الأرض، وأن يصبُّوا الماءَ بكـثرة في أرض كل غرفة على حدة – وكنَّا نرقـب الماء– فإذا بأرض إحدى الغرف قد ابتلعته، فنظرنا فإذا بالباب قد انكشـف، كان قطعة من أرض الغرفة، يُفتحُ بطريقةٍ ماكرةٍ بواسـطة حلقة صغيرة وضِعت إلى جانب رِجْل مكتب رئيس الدير. وهبطتُ درج السلم يتبعني سائر الضباط والجنود، شاهرين سيوفهم، فإذا نحن في غرفة كبيرة مُرعبة، وهي عندهم

1 - زكريا،2023

قاعة المحكمة، في وسطها عمود من الرخام، به حلقة حديد ضخمة، وربطت بها سلاسل لأجل تقييد المحكومين بها... وأمام هذا العمود كانت المصطبة التي يجلس عليها رئيس ديوان التَّفتيش والقضاة لمحاكمة الأبرياء، ثمّ توجّهنا إلى غرف التعذيب وتمزيق الأجسام البشرية التي امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض. رأيت فيها ما يستفزُ نفسي، ويدعوني إلى القشعريرة والتقزُّز طوال حياتي. رأينا غرفاً صغيرةً في حجم جسم الإنسان، بعضها عمودي وبعضها أفقي، فيبقى سجين الغرف العمودية واقفاً على رجليه مدة سجنه حتى يموت، ويبقى سجين الغرف الأفقية مُمدَّداً بها حتَّى الموت، وتبقى الجثثُ في السّجن الضيّق حتى تُبلى، ويتساقط اللحمُ عن العظم، وتأكله الديدان، ولتصريف الروائح الكريهة المُنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة إلى الفضاء الخارجي... وقد عثرنا في هذه الغرف على هياكل بشرية ما زالت في أغلالها. ثمَّ انتقلنا إلى غرف أخرى، فرأينا فيها ما تقشعر لهوله الأبدان، آلاتٌ رهيبةٌ للتّعذيب، من بينها آلات لتكسير العظم، وسحق الجسم البشري. كانوا يبدأون بسحق عظم الأرجل، ثم عظم الصدر والرأس واليدين تدريجاً، حتى يُهشَّم الجسم كله، وتخرج من الجانب الآخر كتلة من العظم المسحوقة، والدماء الممزوجة باللحم المفروم. ثمَّ عثرنا على صندوق في حجم رأس الإنسان تماماً، يوضع فيه رأس الذي يريدون تعذيبه بعد أن يربطوا يديه ورجليه بالسَّلاسل والأغلال حتى لا يستطيع الحركة، وفي أعلى الصّندوق ثقب تتقاطر منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام، في كلّ دقيقة نقطة، وقد جُنَّ كثرٌ من هذا اللَّون من العذاب، ويبقى المُعذَّبُ على حاله تلك حتَّى يموت. كذلك عثرنا على آلات كالكلاليب تغرز في لسان المُعذب ثم تُشَدّ ليخرج اللّسان معها، ليُقصُّ قطعةً قطعةً، وكلاليب تُغرسُ في أثداء النّساء وتُسحبُ بعنفٍ حتى تتقطعَ الأثداء أو تُبتر بالسكاكين[1]. رغم قسوة تلك المشاهد، فإنها حقيقة عاناها مئات الآلاف عبر قرون، ورغم انتهاء محاكم التَّفتيش من عالم اليوم، فإنَّ أفكارها وممارساتها تظلُّ حيةً ومُلهمةً لعصابات الإجرام والإرهاب في عالمنا المُعاصر.

المبحث الثالث: الحروب الصّليبية Crusades

الحروبُ الصّليبيةُ سلسلةٌ من حلقة الصراع العسكري - الدِّيني، خاضته الكثيرُ من دول أوروبا ضدّ المشرق العربي والمسلمين بالتحديد، برعاية ومباركة البابوية، لترسم في طياتها العنصرية والحقد بأبشع المجازر الوحشية.

1 - البهجي، 2018، ص848

أولاً: الحروب الصّليبية والإرهاب

تبقى الحملة الصّليبية الأولى وما رافقها من ممارسات إرهابية بشعة، حاضرة في ذاكرة التاريخ رغم توالي الحروب الصّليبية عبر عقود لاحقة. وقد بدأت هذه الحملة بعد أن دعا البابا إربان الثاني (1088 - 1118)، إلى مجلس في كليرمون في 18 نوفمبر 1059، وألقى خطاباً حثَّ فيه الممالك الأوروبية على توجيه قواها القتالية لخدمة غرض مُقدَّس.

■ مذبحة القدس في 15 يوليو 1099

دخلت جيوشُ الصّليبيين مدينة القدس، وبدا واضحاً تأثير الشحن الدِّيني الذي مارسته الكنيسة الكاثوليكية، التي صوَّرت أنَّ ذبحَ المسلمين تنفيذٌ حرفيٌّ لنصوص الكتاب المُقدس ووسيلة لدخول الجنة، ولم يكن للمسلمين المحاصرين داخل القدس من هَمٍّ إلَّا الفرارَ من الجنود الصّليبيين الذين كانت تبدو عليهم علامات الوحشية، فلم يجد السكان المذعورون أملاً في النَّجاة إلَّا في الاعتصام بالمسجد الأقصى، لكن الجيشَ الصّليبي شرع في جموع المقدسيين العُزَّل ذبحاً وتقتيلاً. فقد شهد بيتُ المقدس عندما اجتاحوه في الحملة الأولى، مذبحة من أبشع المذابح التي عرفها التاريخ، حيث بلغ عدد الشهداء المظلومين من النَّاس سبعين ألفاً، حتى أنَّ الدماءَ سالت أنهارًا في المسجد الأقصى[1].

ويعرضُ المؤرخ الفرنسي ميشو في حديثه عن صور المجازر الوحشية في بيت المقدس، والتي سرعان ما صارت مذبحة عامة: ذُبح المسلمون في الطرقات وفي المنازل، ولم يعد في بيت المقدس ملجأ للمغلوبين، فبعض الذين فرُّوا من الموت ألقوا بأنفسهم من فوق الأسوار، والآخرون جروا، وجماعات يختبئون في القصور والأبراج، وبخاصة المساجد، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفروا من أن يتبعهم الصّليبيون، أمَّا وقد صار الصّليبيون سادة المسجد الأقصى الذي دافع المسلمون عن أنفسهم حينًا فيه، فقد جدَّدوا فيه المناظر المُحزنة، دخله المشاة والفرسان، واختلطوا بالمنهزمين، وفي وسط أشنع ضوضاء، كنت لا تسمع إلَّا الأنين وصيحات الموت، لقد كان المنتصرون يسيرون على أكوام من الجثث ليتبعوا من يحاول الفرار عبثًا[2]. وينقلُ "ول ديورانت" عن شاهد عيان لتلك المذابح، القس ريمند الإجيلي" قائلا: وشاهدنا أشياءً عجيبةً، إذ قُطعت رؤوسُ عددٍ كبيرٍ من المسلمين، وقتل غيرهم رميًا بالسهام، أو أرغموا على أن يلقوا

1 - علوان،2012، ص44

2 - المصدر نفسه

أنفسهم من فوق الأبراج، وظلَّ بعضهم الآخر يعذبون عدّة أيام، ثم أُحرقوا في النار. وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل"[1].

ويذكر «ستيفن رنسيمان» في كتابه «تاريخ الحروب الصّليبية»، ما جرى في القدس يوم دخلها الصّليبيون، فيقول: «وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، اقتحم باب المسجد ثلةٌ من الصّليبيين، فأجهزت على جميع اللاجئين إليه، وحينما توجَّه قائد القوة (ريموند أجيل) في الضحى لزيارة ساحة المعبد، أخذ يتلمَّسُ طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه، وقد تركت مذبحة بيت المقدس أثراً عميقاً في جميع العالم، وليس معروفاً بالضبط عدد ضحاياها، غير أنها أدَّت إلى خلو المدينة من سكانها المسلمين واليهود، بل إنَّ كثيراً من المسيحيين اشتدَّ جزعهم لما حدث[2].

■ مذبحة معرَّة النعمان في 12 ديسمبر 1098

لم تقتصر المذابح الصّليبية على القدس، فقد كان الحقدُ والوحشية منهجاً التزم به الصّليبيون في المدن التي دخلوها، ومن المذابح التي لا تُنسى في هذا السياق أثناء الحملة الصّليبية الأولى، مذبحة معرَّة النعمان في 12 ديسمبر 1098، إذ تشيرُ معظمُ كتب التاريخ إلى أنَّ الصّليبيين قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين في الجوامع والمختبئين في السراديب، فأهلكوا ما يزيد عن مئة ألف إنسان[3].

إنَّ عناصرَ تلك القوات الهمجية بقيادة ريموند دي سانت گيل وبهمند من ترانتو، أضافوا عنصراً جديداً لم ينافسهم في وحشيته أحد، فقد التهموا كثيراً من سكان المدينة وتنافسوا في شواء الأطفال! ويصفُ أحدُ الجنود الصّليبيين، واسمه رودولف دي كاين، ما حدث بالقول: "في معرة النعمان، أقدم جنودنا على غلي الوثنيين (يعني المسلمين) في القدور، وحوّلنا لحوم الأطفال إلى أسياخ لالتهامها مشوية[4].

■ الحملة الصّليبية الثالثة ومذبحة عكا

قامَ قائدُ الحملة الصّليبية الثالثة، «ريتشارد قلب الأسد» بذبح أسرى المسلمين في عكا، وذلك بعد تمكُن الصّليبيين من دخول المدينة، بعد هدنة عُقدت بين الجانبين الإسلامي والصّليبي، وكان سببُ

1 - ديوارنت، 1988، ج15، ص25
2 - رنسيمان، 1997، ج1، ص406
3 - ابن الأثير، 1997، ج8، ص240
4 - 12 ديسمبر 1098، https://www.aljazeera.net

موافقة صلاح الدِّين على عقد هذه الهدنة عدم تمكُّنه من الوصول إلى المسلمين الذين داخل عكا، وإمدادهم بالسلاح والمؤن، وكان من ضمن شروط هذه الهدنة السماح للمسلمين الذين في عكا بالخروج بأموالهم وأنفسهم، إلّا أنَّ ريتشارد قلب الأسد نقضَ العهد، وغدرَ بالمسلمين ودفع بالأسرى إلى خارج أسوار عكا، وأمرَ بضرب أعناقهم جميعاً، ونقضَ جميعُ شروط الهدنة[1].

ثانياً: الحملات الصّليبية والمشروع الصَّهيوني

إنَّ ما يحصلُ اليوم في غزة. يدفعُ بنا للتساؤل ما العلاقة بين المشروع الصَّهيوني والحروب الصّليبية؟

يُبيِّنُ المسيري أوجه التشابه بين الحملات الصّليبية والمشروع الصَّهيوني، من خلال ملاحظة عمق التَّرابط بين المشروع الفرنجي الصّليبي والمشروع الصَّهيوني الإسرائيلي، فكليهما جزءٌ من المواجهة المُستمرة بين التشكيلتين الحضارتين السائدتين في الغرب والشرق العربي. فحملات الفرنجة التي انطلقت تتوسَّع من أوروبا لبسط سيطرتهما على الخارج، احتوت كُلَّ بذور أشكال الإمبرياليّة الأوروبيّة، فأصبحت حملاتُ الفرنجة صورةً مجازية أساسية في الخطاب الاستعماري الغربي. ويرى الكثيرُ أنَّ المشروعَ الصَّهيوني هو إحياءٌ للمشروع الصّليبي، ومحاولة وضعه موضع التَّقييد من جديد في العصر الحديث. فقد ألَّفَ (سي آر. كوندر) عام 1897م- وهو صهيوني غير يهودي ومؤسس صندوق استكشاف فلسطين - كتاباً عن تاريخ المملكة اللاتينية في القدس، أشار فيه إلى أنَّ الإمبرياليةَ الغربية نجحت فيما أخفقت فيه الحملات الصّليبية". ويمكننا أن نقولَ " إنَّ المشروعَ الصَّهيوني هو نفسه المشروع الفرنجي بعد أن تمَّت علمنته، وبعد أن تمَّ إحلال المادة البشرية اليهودية التي تمّ تحديثها وتطبيعها وتغريبها وعلمنتها محلّ المادّة البشريّة المسيحية"[2].

ومن خلال مقارنة المسيري للحملات الصّليبية والاستيطان الصَّهيوني يلاحظ:

إنَّ كلاً من ممالك الفرنجة والدولة الصَّهيونية، بسبب طبيعتها الإحلالية خلقت مشكلة اللاجئين.

إنَّ هؤلاء اللاجئين تحولوا إلى وقود، جنّد سكان المنطقة ضدّ الدّولة القلعة.

تطرح الدّولة الصَّهيونية نفسها باعتبارها قاعدة للحضارة الغربية كلها في مواجهة العالم الإسلامي، ويشيرُ أحد الدارسين الإسرائيليين إلى أنَّه كان هناك جبايةٌ فرنجيةٌ مُوحَّدة تماماً مثل الجباية

1 - عثمان، 2022، ص11

2 - المسيري، 1998، ج6، ص131-132

اليهوديــة الموحدة، وبالنَّتيجــة "فالحركة الصّليبية في جوهرها حركة اســتيطانية"[1]، وهي حلقةٌ من حلقــات الصّراع بين الشّرق والغــرب، وهي حركةٌ كبرى نبعت من الغرب الأوروبي المســيحي في العصور الوسطى. واتخذت شكل هجوم حربي استيطاني على بلاد المسلمين، وبخاصة في الشرق الأدنى بقصــد امتلاكها، وقد نبعــت هذه الحركة عن الأوضــاع الفكريّة والاجتماعيــة والاقتصادية والدِّينية التي سادت غرب أوروبا في القرن الحادي عشر[2].

لم تخرج أوروبا من هذا النفق المُظلم، حتى انتهت العصور الوسطى بأحقابها الثلاث الطويلة، التي دامت قرابة 1500 ســنة. وعدَّ المؤرخون الأوربيون سقوط القســطنطينية عام 1453م، حدًّا فاصلاً بين العصور الوسطى والعصر الحديث، ولكن هل بدَّلَ العالمُ فجأةً العقليات القديمة بعقليَّات جديدة؟

الخاتمة

اعتمدت الحركــةُ الصّليبية على المقولة الدِّينية لتثوير الغرب الأوروبي وإثارة الدافع الدِّيني لديه، وكان شعارها تحرير البلاد المقدسة من براثن (الكفار)، امتثالاً (لإرادة الله). وهذه الحروب الإجراميّة في أوروبــا، هي التي بعثــت الحركة الصَّهيونية من ركام التاريخ، لتحمل شــعاراتها (أرض الميعاد)، و(شعب الله المختار)، و(العهد) و(صهيون)، و(يهودا) و(السامرة) و(أورشليم).

لقد تغيَّرت الأســماءُ والأمكنة والأزمنة بين العصور الوسطى والقرن العشرين ويومنا الحاضر، وتغيَّرت الرموز والشــعارات، إلَّا أنَّ الحقيقةَ تبقــى واحدة وهي: التناقض بين الغرب المســيحي من جهة، والشرق المُسلم من جهة أخرى، والذي يتجسد اليوم في الصراع بين اليهود والعرب، أو ما يُوصف بالقضية الفلسطينية.

إنَّ العدوَ الصَّهيوني الغاصب، الذي قدم إلى فلسطين، أغلب مكوّناته البشريّة من يهود أوروبا، وقد جاء حاملاً في وعيه، ثقافة الإجرام والإرهاب التي عاشــها فترات طويلة، إضافة إلى معتقداته الدِّينية الاستعلائية. لذلك، ليس بغريب عليه هذا الإجرام الذي يقوم به في فلسطين اليوم.

والحرب الحقيقيّة، مُستمرةٌ مع المسلمين منذ الفتح الإسلامي، وإن أخذت عناوينَ مختلفةً، إلَّا أنَّها ستبقى حربًا وجوديةً، بين القيم الإنسانيَّة التي تحملها شعوبنا، وقيمهم المُتوحّشة المُتجسّدة اليوم في الصَّهيونيّة.

1 المسيري، 1998، ج6، ص124
2 عاشور، 2002، ج1، ص19

لائحة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

■ ابن الأثير، أبو الحسن علي. (1997) الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلالم تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت.

■ البهجي، إ. (2018) تاريخ دولة الأندلس، مركز الكتاب الاكاديمي، ط1، عمان.

■ العريني، ب. (1968) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،ط1، بيروت.

■ العريني، ب. (1962) مؤرخو الحروب الصّليبية، دار النهضة العربية،ط1، القاهرة.

■ المسيري، ع. (1998) موسوعة اليهود واليهودية والصَّهيونية، ط1، دار الشروق، القاهرة.

■ لغرس، س. (2013): التيارات السوسيولوجية لعلاقة الدِّين بالعنف، الديانات التوحيدية نموذجا، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة متون، جامعة سعيدة، الجزائر، العدد السابع والثامن.

■ عاشور، س. (2002) الحركة الصّليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مطبعة الانجلو المصرية، ط1، القاهرة.

■ عبد الفتاح، س. (2013) أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، القاهرة.

■ علوان، ع. (2001) صلاح الدِّين بطل حطين ومحرر القدس من الصّليبين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن.

■ قاسم، ع. (2001) الحملة الصّليبية الأولى (نصوص ووثائق تاريخية)، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة.

■ لؤلؤة، ع. (2002) الصوت والصدى، دراسات ومترجمات نقدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

■ مرسي، م. (2006) دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط1، بيروت.

■ يوسف،ج. (1984) تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، الإسكندرية.

الكتب المترجمة

■ دلماس، ك. (1970) تاريخ الحضارة الأوروبية، ت: توفيق وهبة، منشورات عويدات، ط1، بيروت.

■ ديفز، هـ. و. (1958) أوروبا في العصور الوسطى، ت:عبد الحميد حمدي محمود، مشاة المعارف، ط1، الاسكندرية.

■ رنسيمان، س. (1997) تاريخ الحروب الصّليبية، ت: الباز العريني، دار الثقافة للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، بيروت.

■ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، 1958.

■ ماليز، و. (2007) الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي، ت: سامي الكعكي، أكاديميا انترناشونال، ط1، بيروت.

■ ديوارنت، و. (1988) قصة الحضارة، ت: محمد بدران، دار الجيل، ط1، بيروت.

الرسائل الجامعية.

■ حايك، ف. (2022) اليهود ومحاكم التفيش في اسبانيا، 1478-1429م، إشراف أ. د طارق شمس. رسالة أعدت لنيل الماستر في التاريخ الوسيط، كلية الآداب والعلوم الانسانية، بيروت.

■ عثمان، ح. (2022) مذبحة تل العياضية عند عكا، الحملة الصّليبية الثالثة)27رجب 587هـ / 20 أغسطس 1191م(إشراف: أ.د. محمد مؤنس عوض كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الشارقة- دولة الامارات العربية المتحدة.

المواقع الإلكترونية

■ السرجاني: راغب، الأندلس من الفتح إلى السقوط، منشور على الرابط: https://shamela.ws/136/book/21877

■ موسى: محمد، العذاب المقدس: نظرة في العنف الدِّيني، 28 فبراير 2015 https://www.noonpost.com/5640

■ فرنسا تشهد أكبر كارثة فى تاريخها بواقعة سان بارتيليمي، 24 اغسطس 2022.- https://www.elbalad.news/541159

■ توفيق محمد زكريا، محاكم التَّفتيش في القرون الوسطى، الحوار المتمدن، https://www.ahewar.org 12 ديسمبر 1098.. اليوم الذي التهم فيه الصّليبيون سكان معرة النعمان.

*** الكتب الأجنبية**

■ Benedict, P. (1978) «The Saint Bartholomew›s Massacres in the Provinces,» The Historical Journal, Vol. 21, No. 2 (Jun., 1978).

■ Grant, A, J. (1927) A history of Europe, (The Middle age) vol II, London.